المختار من كتاب

لحن العامة والخاصة في المعتقدات





تأليف
أبي عليّ عمر بن محمّد بن خليل السّكوني
المالكيّ نزيل تونس
المتوفى ٧١٧ هـ

شركة دار المشاريع

مُلتزم الطبع
شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ ر

ترجمة المؤلف[1]

هو أبو علي عمر بن محمد بن حمد بن خليل السكوني من أهل إشبيلية نزل بتونس، وكان مقرئًا من فقهاء المالكية، توفي سنة ٧١٧هـ.

من تصانيفه:

١ ـ التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزالات في تفسير الكتاب العزيز[2].

٢ ـ لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام[3].

٣ ـ الأربعين مسألة في أصول الدين على مذهب أهل السنة.

٤ ـ عيون المناظرة.

٥ ـ قواعد العقائد.

٦ ـ المعتمد في المعتقد.

---

(١) مصادر ترجمته: نيل الابتهاج (ص/٣٠١)، الأعلام (٥/ ٦٣)، معجم المؤلفين (٧/ ٣٠٩)، هدية العارفين (١/ ٧٨٨).
(٢) كشف الظنون (٢/ ١٤٨٢).
(٣) إيضاح المكنون (٢/ ٤٠١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى ءاله الطيبين الطاهرين وصحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنه لما وجب نصح الإسلام والمسلمين قلت: قال الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف]، ومما علم بالدلائل أن الحسنَ ما حسَّنه الشرع، فالإلحاد في أسمائه تعالى هو الخروجُ فيها عن الشرع، ولا خلاف بين علماء أهل السنة رضي الله عنهم في منع كل إطلاق لم يرد به توقيف شرعي إذا كان يقتضي ما يستحيل في حقّ الله تعالى أو يمتنع في حق أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام وفي حق

دينه أو يوهم ذلك، ويترتب على هذه المقدمة أن كل من كان من الناس لا يعرف بين الموهم وغيره من الإطلاقات فلا يجوز له أن يطلق في حقّ الله سبحانه إلا ما ورد به التوقيفُ بالإذن الشرعي، وهذه طريقة الأشاعرة وعليها أكثر العلماء، أعني أنه لا يطلق إلا ما أذن الشرع فيه سواء كان في اللفظ إيهام أم لم يكن.

ومما يجري على ألسنة العوام مما لا يجوز إطلاقه، قولهم: يا ساكن السماء، ويا ساكن الخضراء، وسبحان من العُلاَ مكانه العظيم سلطانه، ومن يَرى ولا يُرَى، ومَن يَراني ولا أراه ألا ترى أن هذا الإطلاق مخالف لقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة] ولقوله عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح «**ترون ربكم عيانا**»[١].

(١) رواه البخاري، ومعناه أن المؤمنين يرون الله وهم في الجنة والله موجود بلا كيف ولا مكان ولا جهة يُرى الله لا كما يُرَى المخلوق.

فإنْ قال صاحبُ هذا الإطلاق الممنوع: أردتُ أن لا أراه في الدنيا، قيل لهِ: أتيتَ بلفظ مطلق في موضع تقييد فكان إطلاقك ممتنعًا وإنما ذلك للشارع فقط كقوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۝١٠٣﴾ [سورة الأنعام]، فجُعل على الدنيا لما قام من الدلائل بإجماع الأمة على أن المؤمنين يرون ربهم سبحانه في الجنة(١).

فمهما ورد ذلك في الشريعة أطلقناه كما هو وارد وتأولناه بتقييد مطلق وتخصيص وحملٍ على المجاز وغير ذلك مما تقتضيه الدلائل الموجبة لذلك لأننا متعبدون بذلك، وهذا حكم جميع المتشابهات الواردة في الشريعة(٢) لأن الله سبحانه

(١) أي والمؤمنون في الجنة أما الله سبحانه فموجود بلا مكان ولا جهة، فكما ثبت عقلاً وشرعًا وجود الله بلا مكان ولا جهة قبل خلقها فهو سبحانه لم يزل موجودًا بلا مكان بعد خلقها.

(٢) معنى ذلك أن النصوص المتشابهة لا يجوز حملها على الظاهر لأن ذلك يؤدي إلى التشبيه وإلى ضرب النصوص بعضها ببعض، ولا يجوز التناقض في كلام الله أو في كلام رسوله فوجب ترك الحمل على الظاهر الموهم معاني لا تليق بالله. لذلك غلبَ على السلف التأويل الإجمالي مع التنزيه وغلب على الخلفِ التأويل التفصيلي مع التنزيه، وأجمع الكل على ترك الحمل على الظاهر لأنه لا يليق بالله.

أمر عباده بأن يفهموها على خلاف ظواهرها، وله سبحانه ذلك بحكم ملكه عليهم كما قال بعض الأئمة فيها: امتحن الرب عباده بها للخير والشر كما أراده بأن يخص بعضهم بعلمها وأن يضلَّ بعضهم في فهمها، لا يُسْأَل الإلهُ في خلقه عما يفعل فهو الملك الأعدل، وأما نحن فلا سبيل لنا أن نطلق إلا ما ليس بصريح في ممتنع الدين ولا يوهم ذلك لأنه ليس لنا أن نمتحن الخلق بفهم الإطلاق على خلاف ظاهره ولا أن نطلبهم بتأويله بل نطلب بظواهر إطلاقاتنا وهو مجمع عليه فتأملوه وفقكم الله ترشدوا.

ويقولون: يا مَن لا تراه العيون. وهو غير جائز كما تقدم بيانه.

ويقولون: يا سيد كل سيد، ويا سببُ كُن لي سببًا[1]، وكلا اللفظين غير جائز كما تقدم بيانه.

---

(١) قال الإمام ركن الإسلام عليّ السُّغدي: «من سمى الله سببًا أو علّة كفر». وذلك لأن السبب مخلوق، والعلة المرض فمن سمى الله بذلك كفر.

ويقولون: يا عماد من لا عماد له، ويا سند من لا سند له، ومع أن هذا اللفظ لم يرد به شرع ففيه تخصيص من لا عماد له دون مَن له عماد ءاخر، ولا خالق إلا الله فلا متوكل عليه سواه.

ويقولون: يا رجاء[١] من لا رجاء له، ويا ثقة من لا ثقة له.

ويقولون: الضامنُ ثقة، وفيه إيهام وجوب الأرزاق على الله تعالى وهو باطل[٢].

ويقولون: يا فَرَجُ، يا أمانُ.

ويقولون: يا دليل[٣] الحائرين، وفيه إيهام تخصيص هدايته تعالى بالحائرين دون من لم يحر قط من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين،

---

(١) لا يجوز تسمية الله بالمصدر وهذا إطلاق لفظ على الله لم يرد به الإذن شرعًا فهو ممتنع.

(٢) وذلك لأن من أصول أهل الحق أن الخالق سبحانه لا يجب عليه شيء.

(٣) لا يجوز تسمية الله دليلًا فهذا لم يرد في القرءان ولا في الحديث ولا ورد إذن به شرعًا فامتنع إطلاقه على الله.

وإنما يقال: يا هادِ لأنه تعالى هو الذي هدى كل مَن اهتدى.

ويقولون: يا دليل من ليس له دليل، وهو ممتنع لأنه لا هادي على الحقيقة سواه تعالى مع أن ذلك اللفظ لم يرد به توقيف شرعي مع إيهامه ما لا يصح فامتنع. ويطلقون إطلاقات تُشبه ما تقدم ذكره وكل ذلك لم يرد به شرع وكل ذلك تقييدات ممتنعة في حق الله تعالى.

ويقولون: يا من لا يوصف ولا يُعرف، وهو خطأ كله.

ويقولون: يا عليٌّ في سمائه، وظاهره الإشارة إلى المكان(١) وهو محال في حق الله سبحانه فامتنع الإطلاق، وما ورد في الشريعة من ذكر

(١) المكان هو الفراغ الذي يشغله الحجم فكل ما كان في مكان فهو حجم فالله تعالى لا يجوز عليه المكان لأنه لو كان في مكان لكان حجمًا ولو كان حجمًا لكان مخلوقًا ولو كان مخلوقًا لم يكن خالقًا للخلق، تعالى الله عن سمات المخلوقين قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى].

السماء والفوقية كقوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك] و﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة النحل] فمؤول إلى الجلال والسمو والعظمة كما تقدم ذكره.

ويقولون: يا عُدتي، يا عُمدتي، يا غايتي، يا عظيم الرجاء، وقد قام الدليل على أنه لا مرجوّ سواه تعالى مع أن الإطلاق لم يرد به شرع.

ومن ذلك ما يطلقه كثير من الشعراء وأصحاب الخمريات مثل إطلاقهم في حق الله تعالى الخمار والساقي وصاحب الدَّير وراهب الدَّير والقس ويقول قائلهم:

أيا سعدُ قل للقس في داخل الدَّير
أذاك نبراسٌ أَم الكأسُ في الخمر

وكل ذلك وما أشبهه حرام إطلاقه في حق الله تعالى[١] ولو قصد به مطلقه ما عسى أن يقصد.

(١) أي من سمّى الله الخمّار وراهب الدير والقسّ ونحو ذلك كفر، فإن هذا تسمية الله بما لا يليق به سبحانه.

ويطلق كثير منهم في حق الله تعالى ما لا يجوز من نوع ءاخر مثل قولهم: ليلى حتى قال قائلهم:

بدت نار ليلى أشرقَ الكونَ نورُها
وخُصص قيس بالهوى فرءاها
فناداها يا ليلى أجابت نداءه
ونادته يا قيسُ أجاب نداها

فهذه إطلاقات محرم استعمالها في حق الله تعالى، مع أن هذين البيتين الإشارة بهما كفر صراح والعياذ بالله من سخطه.

ومما يطلقونه في مثل هذا لُبنى، وسُعدى، وأسماء، وسعاد، وهند، ودعد.

ويطلقون في حق الله سبحانه الكبريت الأحمر والأكتى (كذا) الأكبر ويقول قائلهم:

أنَا من أهوى ومن أهوى أنَا
نحن روحان حللنا بدنا

وهذا كله وما أشبهه حرام إطلاقه وحرام اعتقاده

في حق الله تعالى لأنه كفر صراح وأكثر ما عُزيَ إلى الحلّاج[١] من هذا القبيل، وكل ذلك لا يجوز شيء منه عند أهل السنة والجماعة.

ومن ذلك قولهم:

تمازجت الحقائق بالمعاني
فصرنا واحدًا روحًا ومعنى
فلا تُفْشِ السرائر يا حبيبي
لعل العيش أن يبقى مهنَّى

ولا يجوز إطلاق هذا ولا اعتقاد معناه لأنه كفر.

ويجري في شعر الشعراء إطلاقات من نوع ءاخر يجب على كل مكلف التحفظ منها وتغييرها

(١) الحلاج أكثر العلماء نَفَوه فإنه كان يقول عن نفسِهِ أنا الحق قال الشيخ أحمد الرفاعي الكبير عن الحلاج: «لو كان على الحق ما قال أنا الحق». وقال الإمام الجنيد للحلاج: لقد فتحت في الإسلام ثغرة لا يسدها إلا رأسك. وكان الحلاج يكتب أحيانًا إلى بعض تلاميذه من الرحمٰن الرحيم إلى فلان، وهذا كفر صريح، وبعض العلماء قالوا إنه كان غائبًا.

على مطلقها، وإنما لم نذكر مقالته لأنها كفر حرام لا يخفى على أحد ردّها متى سمعها[١].

وكان بإشبيلية إبراهيم بن سهل اليهودي الشاعر يُضَمّنُ شعره ءايات من القرءان الكريم محرفة عما أنزلت فيه فلم يُذكَر أَن أحدًا غَيّرَ عليه ذلك فكان ذلك من دواعي خراب إشبيلية وذلك كقوله:

موسى تنبأ بالجمال وإنما
هاروتُ لا هرونُ من أنصاره

وكقوله:

أتيتَ قلبيَ يا موسى على قَدَر.

وكقوله أيضًا:

ألا ليت شعري من بآخر سبّح
ومن هو في التنزيل قبل الذي وفّى

(١) يعني أنه لا يخفى فسادها على أهل الفهم في الدين، أما الجهال فكثير منهم لا ينكرون ما يجب إنكاره وينكرون الحقّ الواضح بسبب جهلهم وضيق مداركهم وسوء أفهامهم.

وكقوله:

مَراضعُ موسى أو وصال سميّه
نظيران في التحريم يشتبهان

وهذا كله وما أشبهه حرام إطلاقه، وإحراقه[١] واجب ولا يحل بيعه في الأسواق.

وقال ابن خميس من أهل مالقة في قصيدة له:

ودع ضلوعي يا فؤادي وارحل
ما الحب إلا للحبيب الأول

إلى أن قال فيها:

واذهب بحالك لا بأَهلك تقتبس
نارًا فقبس النار للمتأَهل
وإذا رأيت الطورَ دُكَّ لا تُرَع
فالسرّ في السكان لا في المنزل

فهذا الكلام يقتضي حَطَّ مقام موسى عليه

(١) يريد إتلافه ولو بغير الإحراق.

السلام عن المقام الذي أَمَرَ به هذا الناظمُ قلبه لأنَّ موسى عليه السلام ذهب ليقتبس النار لأنه سار بأهله وصعق عند دك الطور فنهى قلبَهُ هذا الناظمُ عن هذا المقام إلى ما هو أسنى في زعمه ولم يعلم أن فضل المخلوقين إنما هو بحكم الخالق لهم سبحانه بما يشاء من ذلك، وقد انعقد الإجماع على أن مَن سوى الأنبياء عليهم السلام من البشر لا يبلغ مقامهم فكانت هذه الإشارة خطأ بإجماع الأمة. ولو تتبعنا أمثال هذا في الشعر لطال ولكن فيما ذكرناه ما ينبّه على مثله مما لم نذكره والمستبصر في دينه لا يخفى عليه ردّ ما يقع من مثل هذا لأن الدلائل اقتضت منعه على ما قدمنا بيانه.

ولقد ذكر العلماء أن سبب توبة أبي العتاهية الشاعر أنه قال قصيدة له فيها:

الله بيني وبين مولاتي
أبدت لي الصدَّ والموالاة

فقيل له في منامه: أما وجدت من تجعل بينك وبين امرأة في الحرام إلا الله فاستيقظ مذْعُورًا فتاب ولم ينظم بعد ذلك بيتًا من شعر إلا في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، حتى جمع من شعره في ذلك كتابه المسمى «بزهد أبي العتاهية» والتوفيق من الله تعالى.

وينتهي بعض كتَّاب صدور الرسائل ونحو ذلك من المخاطبات في تخطيط بعض الناس إلى ما لا يجوز مثل قولهم: الأعلى الأعظم، وأوصاف الربوبية لا تطلق في حق المخلوقين، وكذلك يمتنع عليهم مزاحمة أوصاف النبوة كقول بعضهم في تخطيط مَن دون الأنبياء عليهم السلام: أفضل العالم، فخر بني ءادم، حجة الله على الخلق، صدر صدور العرب والعجم. وهذه الأوصاف إنما هي للنبي عليه السلام، فإن قال المطلق لذلك قصدت بقولي: أفضلُ العالَم عالَمَ زمانه وحجةُ الله على الخلق خَلقَ زمانه قيل له: أوهم كلامك العموم ومزاحمة أوصاف النبوة فامتنع الإطلاق.

ويقول قائلهم: ما في الوجود إلا الله[1]، ويقولون: الله فقط. وهو لفظ موهم من وجهين الأول أنه إطلاق يوهم قول القائلين بالاتحاد وهو باطل بالضرورة وكفر صراح، والثاني أنه يقتضي حذف اسم النبي ﷺ ذكرًا باللسان وكَتبا، ويوهم اعتقاد قائل ذلك كذلك، ودين الإسلام مبني على قول لا إلـه إلا الله محمد رسول الله ﷺ، فمن حذف اسم الرسول عليه السلام من هذه الشهادة لم تقبل منه ولم يصح إسلامه بالإجماع، وهذا المعنى هو الذي لاحظ شيخ مشايخ الصوفية والسنة في زمانه أبو علي يونس بن السماط رحمه الله في رده على هذه المقالة والإطلاق كما أظهروه، وبلغه ذلك ففكر ساعة ثم استحضر دواة وقرطاسًا وأملى هذه الأبيات:

(١) قال الشيخ أبو الهدى الصيادي في رسالة له: من قال أنا الله أو ما في الوجود إلا الله أو لا موجود إلا الله أو هو الكلّ فإن كان في عقله حكم بردته ا.هـ معناه من قال هذه الكلمات ولم يكن غائبًا كفر لأن هذه الكلمات معناها الحلول الباطل، قال الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه: من قال بالحلول فدينه معلول وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد.

ما للرسول على متين علائه
تُخلى صدورُ الكُتب من أسمائه
ما ذاك إلا أن راسم صحفها
ولو استقام يعد من أعدائه
ذادوا نفوسهم ومن والاهم
عن أن يفوهوا باسمه وثنائه
وكذا يذاد القوم يوم معادهم
عن حوضه ومقامه ولوائه
صلى عليه الله رغم أنوفهم
وعباده في أرضه وسمائه
ما أخلق الملوَانِ أعمارَ الورى
وانهلَّ جفنُ المغمرات بمائه

فلما اقتضى الإطلاق ما قلناه من المذاهب الفاسدة وجب منعه والصواب أن يقول القائل: ما في الوجود في الأزل إلا الله، وما في الوجود في الأبد خالق ولا رازق إلا الله لأنا إذا لم نقل هذا وأطلقنا أوهم قولَ القائلين بالاتحاد وهو كفر صراح.

ويقولون: الله في قلوب العارفين به، ويوهم الحلول وهو محال على الله تعالى، فالصواب أن يقال: معرفة الله في قلوب العارفين، وما وَرَدَ إخبارًا عن الله لن تسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن(١) فمعناه لن تسعني أرضي ولا سمائي لاستحالة المكان في حقي، ولكن العلم بي وتنزيهي عن المكان والزمان وسِمات الحدثان في قلب عبدي المؤمن. وللشارع أن يطلق ما يشاء مما يتعبدنا بتأويله وليس لنا نحن أن نطلق متشابهًا ونطلب من الخلق تأويله كما تقدم بيان ذلك قبلُ.

ويقول قائلهم: الله في باطني وظاهري، وهو موهم في حال إطلاقه من غير بيان فيمتنع كما تقدم.

---

(١) هذا ليس حديثًا، وهب بن منبه يقول: وجدت في بعض الكتب المنَزَّلة «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن».

ويقولُون: أكبرُ في كل مكان، ولا يخلو منه مكانْ، تعالى الله عن المكان والزمان فيمتنع لذلك لأنه يستحيل في حقه تعالى.

ويقول قائلهم في التكبير: الله أكبار بزيادة ألف بعد الباء، وذلك لا يجوز لأنه جمع كَبَر وهو الطبل، ويقول قائلهم في التكبير أيضًا: الله وَكْبر، بإبدال الهمزة واوا وذلك لا يجوز في حق الله تعالى لأن الوكبر دُوَيْبةٌ صغيرة ولو قصد المعنى هنا لكان كافرًا وهو إذا لم يقصد المعنى[١] مُخطئ[٢] ولفظه لفظ الكفر إذا قصد معناه.

ويقول قائلهم: ءالله أكبر على صيغة الاستفهام ولو قصد معنى الاستفهام هنا لكان كافرًا أيضًا لأنه يَستفهم ولا يقع الاستفهام على الحقيقة إلا من غير معتقد لما يستفهم عنه، والشك في كبرياء الله تعالى كفر صراح.

ويقول قائلهم إذا دعا لأحد: الله يحافظ عليك،

---

(١) أي لم يفهم المعنى.

(٢) أي ءاثم.

ولم يرد بهذا اللفظ شرع ومع ذلك فمعناه فاسد لأنه إطلاق يقتضي لفظ المفاعلة والمغالبة حتى يقع ذلك الفعل وذلك محال في حق الله تعالى وإنما يقال الله يحفظك. وأما قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۝٣٨﴾ [سورة الحج] فمؤول إلى معنى تعظيم البلايا المدفوعة عن المؤمنين، وهو تعالى يدافعها أي يخلق أضدادها بقدرته من غير مغالب ولا مدافع، وإنما احتجنا إلى التأويل لأن ظاهر المفاعلة لا يكون في لسان العرب إلا بين اثنين فإن ورد بخلاف ذلك كما في هذه الآية وجب تأويله لما قام من الدلائل على أن الله تعالى هو الخالق وحده فلا مدافع ولا ممانع.

ويقول قائلهم أيضًا إذا دعا لأحد: الله يترضى عنك، ولا يجوز أيضًا لأن يترضى معناه يطلب الرضا من غيره ورضا الله هو المطلوب الأعظم لا رضا غيره وإنما يقال: الله يرضَى عنك[1].

(١) هذه الكلمة تقال للرجل الصالح على وجه التقرير، ولا يقال لغير التقيّ هذا اللفظ على وجه التقرير. ولا يقال هذا اللفظ لكافر.

ويقولون أيضًا: هذا زمن سوء، وليس لهم في الزمان نفع ولا ضر، ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**[١]» أي فإن الله هو الفاعل وحده دون الدهر أو غيره لأنكم إذا سببتم الدهر وهو في الحقيقة لم يفعل شيئًا فيصير سبكم للفاعل سبحانه وتعالى فيكون كفرًا.

ويقول قائلهم: المدبر يدبر في السماء، وهو تصريح له بالمكان تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ويقول قائلهم: تظلمني الله يظلمك، وهو باطل لأن الظلم على الله محال[٢].

ويقولون أيضًا: تغدرني الله يغدرك وهو ممنوع كما تقدم. ويقولون: الله يغدر كل غادر، وهو باطل أيضًا لما تقدم.

(١) كانوا في الجاهلية يقولون يا خيبةَ الدهر يريدون من ذلك أن الدهر هو يخلق البلايا والمصائب فنهى الرسول عن سب الدهر وقرر أن الله هو يخلق المضار والمنافع لا خالق سواه، وقد جاء في الحديث القدسي: لا تسبّوا الدهرَ فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهارَه.

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة فصلت] فالظلم مستحيل على الله شرعًا وعقلاً ومن نسبه إلى الله كفر.

ويقول قائلهم: هذا حق كما أن الله في السماء حق، وهو تصريح بالمكان المستحيل على الله تعالى.

ويقول قائلهم: لي في الخضراء إلٰه لا يضيعني، وفيه الإشارة إلى المكان أيضًا فامتنع لأن الخضراء يشيرون بها إلى السماء.

ويقولون: ما يضيع الله ما خلق، ويعنون به ما يتركه دون رزق والله سبحانه لا يجب عليه شيء إن شاء أعطى وإن شاء منع فلما أوهم التحجير على الله في ملكه والإيجاب امتنع.

ويقول قائلهم: ما يسمع الله من سكت، وهو خطأ قال الله تعالى ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الزخرف]، وقد قامت الدلائل على أن الله يسمع كل موجود.

ويقول قائلهم إذا رأى بعض الناس مريضًا: ما

يستحقُّ هذا شرًّا[١]، فيعتقد أن المرض شر وهو خير على الحقيقة[٢] ويعتقد أن ذلك الشخص إنما يستحق العافية وقد قام الدليل على أنه لا يستحق أحد على الله شيئًا، إذ كل نعمة من الله فضل وكل نِقمة منه عدل، ولا يُسأَل عما يفعل وهم يُسأَلون.

ويقول قائلهم: يا حَليمُ لا يعجَلُ، والصواب أن يقول: يا حليم لا تُعجِّلْ لأن الأول ينزل منزلة الصفة لله تعالى فينزل ذلك منزلة الوجوب لأن صفات الله واجبة والرب تعالى لا يجب عليه تأخير عقاب المذنبين بل لو شاء لفعل ما له فِعْلُهُ من تعجيل عقابهم فأخرهم بفضله وحلمه، فيسأل العبد بالأدب مع الله تعالى فيقول: يا حليمُ، لأنه اسم من أسمائه تعالى لا تُعَجلْ فيسأل التأخير من الرب. والنقل في هذه المسألة من أكابر العلماء

(١) وهذا كقول بعض العوام إذا سمعوا أن شخصًا مرض أو افتقر أو توفيَ: «ما بيستاهل» وهذا اعتراض ظاهر على الله لأن معناه لا يستحق أن يبتليه الله بهذا ومن اعترض على الله كفر.

(٢) المؤمن إن ابتلاه الله بمرض أو نحوه فصبر ولم يعص ربه بسبب البلاء كان له أجر عظيم، فهذا نعمة.

كما ذكرناه وبعضه من طريق المعنى، لأنك لا تقول أيضًا: يا كريمُ لا يمنع، لأنه تحجير على الله في مِلكه لأن من أسمائه الحسنى: المُعْطِي المانع فيعطي تعالى ما يشاء لمن شاء، وكذلك أيضًا لا تقول: يا حليمُ لا يعذب ولا ينتقم(١) كأنك تنفي وتحجر على الله ما له أن يفعله إن شاء الله. قال الله تعالى ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وقال ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة السجدة].

ويقول بعض الجهال لبعض: لنا عنده رزق وله عندنا عمل، وهو إطلاق ممنوع لأنه يوهم الوجوب على الله تعالى، ولا يجب لنا على الله شىء وإنما رَزَقنا بفضله وتعبدنا بعزه وجلاله وقهره وعدله وسلطانه.

وقول بعض الجهال: اعمل له ما يريد يعمل

(١) كذلك لا يجوز قول بعض العوام: الله ما عنده إلا الرحمة. لأن الله رحيم شديد العقاب. وَمَن نفى ما ثبت في الشرع مما علم من الدين بالضرورة كفر، وذلك نحو كونه تعالى يعاقب ويعذب من شاء.

لك ما تريد[١]. واعمل له ما يكره يعمل لك ما تكره، وهذا إطلاق باطل لأنه يقتضي أن الله سبحانه يقع في ملكه ما لا يريد، وقد قامت الدلائل القطعية على أنه سبحانه لا شريك له وأنه خالق لجميع المخلوقات فلا يقع في ملكه إلا ما يريد فجميع الخلائق مقهورون بقدرته ومشيئته.

ويقول بعض الجهال: فلان يَعيَا فيه القضاء[٢]، وهو كفر صراح لأن قضاء الله وقدره لا مرد له ولا يمتنع عليه شيء ولا يقف عن ممكن لما قام من الدلائل اليقينية على ذلك.

ويقول قائلهم: الله يميتنا على خير الأديان، وظاهر هذا الكلام الشك من قائله فيما هو خير الأديان والشك في هذا كفر والعياذ بالله من الجهل، والصواب أن يقول القائل: اللهم أمتنا

(١) كذلك قول بعض الجهلة العوام: إن لله رجالا إذا أرادوا أراد، قد يتوهم منه متوهم أن إرادة الله تابعة لإرادة هؤلاء العباد فليتنبه لذلك.
(٢) كذلك قول بعض الجهال: أنا رجل بلا قَدَر لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر].

على الإيمان والإسلام[١].

ويقول بعضهم: اللهم احشرنا مع المسلَمين بفتح اللام، وهو خطأ لأنه دعا أن يحشر مع المسلمين الذين أسلموا للبلايا وهم الكفار لأنهم لا ناصر لهم ولا شافع، قال الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [سورة محمد] أي لا ناصر لهم. والصواب أن يقول: اللهم احشرنا مع المسلِمين بكسر اللام الذين أسلموا لله واستسلموا أي انقادوا له سبحانه وتعالى بظواهرهم وبواطنهم.

ويقول قائلهم: ارحمنا تحتك يا الله، ويقولون: تراه يرانا ويشيرون بأصابعهم إلى السماء، تعالى الله عن الفوق والتحت واليمين وسائر الجهات[٢].

---

(١) ودين الإسلام هو الدين الحق لا دين صحيح سواه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**الأنبياء اخوة لِعَلَّات دينهم واحد**» أي الإسلام، رواه البخاري.

(٢) وذلك لأن الله موجود بلا مكان والإشارة قد توهم البعض الجهة والمكان فليحذر من ذلك.

ويقول قائلهم: ما نزل من السماء أمر أشد من العمى، وفيه الإشارة إلى المكان في حق الله تعالى وهو مُحالٌ، وفيه القول بنزول الأعراض وهو محال، وفيه السخط بقضاء الله تعالى، وفيه الكذب.

ويقول قائلهم: هذا الأعمى مغبون، وهو خطأ[١] لأنه يقتضي أن الله غبن العميان في القسمة الأزلية، فكأنهم كان يجب لهم عند الله غير ذلك فغبنوا في القسمة والله سبحانه لا يجب عليه شيء لأحد فلم يغبن أحدًا بل قسم ما شاء لمن شاء من غير غبن ولا استحقاق عليه على ما تقررت براهينه في قواعد العقائد.

ويقول قائلهم: الجوع كافر بالله، وهذا خطأ[٢] لأن الجوع[٣] عرض من الأعراض فلا يصح أن يقوم به الكفر لأنه عرض أيضًا والعرض لا يقوم

(١) أي مخالف للشريعة.
(٢) أي مخالف للشريعة.
(٣) بعض جهلة العوام يقولون الجوع كافر وهذا باطل لأن الأنبياء جاعوا، كذلك الأولياء فلا يجوز هذا القول.

بالعرض، وإذا قصد القائل الكفر بلسان حاله فلسان الحال أبلغ من لسان المقال، قال الله سبحانه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الإسراء] فالإشعار بأنه يُفْقَهُ بالقلوب وذلك لمن خصّص بذلك.

ويقول قائلهم: ما يرحمك إلا الله ودراهمك، تعالى الله عن الشريك.

ويقول بعض الجهال: إنا ما نكذب تحت ربي، تعالى الله عن قول الجاهلين علوًّا كبيرًا.

ويقول قائلهم: هذا لله ولك، وهو شرك.

ويقولون: الدنيا لله وللغالبين، وهو شرك أيضًا.

ويقولون: ما معي إلا أنت مع الله، وتعالى الله عن الشريك علوًّا كبيرًا. ويقول قائلهم: لولا فلان أَيش كان يكون منا. ويقولون: لولا صحتي، لولا راسي، لولا فلان، لولا كذا ما كان كذا، لولا

الدواء ما كان الشفا، لولا النار ما كان الإحراق، لولا الطعام ما كان الشّبع، لولا الماء ما كان الرّي[١]، وأمثال ذلك من المعتادات وكل ذلك ممنوع. قال رسول الله ﷺ: «**إياكم ولو فإن لو تفتح عمل الشيطان**»، وقال عليه السلام: «**الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل**». قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله في تفسير الحديث: هم أهلُ لولا كذا ما كان كذا، إذ في ذلك نسبة الأفعال إلى غير فاعلها، والحق في ذلك هو أن يقول الموحد: لولا الله وما شاء الله.

ويقولون: يجعل الله لكل شىء سببًا، وهو باطل لأنه كلام يلزم منه التسلسل[٢] لأن السبب شىء مجعول يستدعي سببًا ءاخر إلى غير نهاية،

---

(١) وذلك لأن الله تعالى هو خالق الأسباب ومسبّباتها، خالق الطعام والشّبَع إن شاء والشراب والرّيّ إن شاء والنار والإحراق والدفء إن شاء فلا يوجد المسبَّب إلا إذا شاء الله وجوده ولو وجد السبب بدليل أن إبراهيم رُمِيَ في نار عظيمة فلم تحرقه ولا ثيابه قال تعالى ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الأنبياء].

(٢) هذا على مصطلح الفلاسفة، أما عند العامة لا يفهم منه ذلك المعنى المحظور.

فيلزم منه القول بقدم العالم وهو كفر والعياذ بالله من سخطه، والحق أن يقول: يخلق الله سبحانه شيئًا عند شيء وتارة يخلق شيئًا لا عند شيء.

ويقول قائلهم إذا رأى أزهار الربيع: انظر إلى صبغة الله أيقدر صباغ أن يصبغ مثل هذا، وظاهر هذا الكلام حسن إلا أن الدَّرَك يدخل إليه من قبل اعتقاده أن الصبَّاغ هو الذي جعل اللون الصَّابغَ في الثوب على يده ولم يعلم أن الكل خلق الله سبحانه لكن خلق سبحانه أحد اللونين عند شيء وخلق الآخر عند شيء. ومن هذا قولهم في البياض صباغ الله. وكذا يقولون في الثوب المسلي هذا صباغ الرحمٰن لتوهمهم ما ذكرناه من أن الصَّباغ له فيما سواه أثر وليس كذلك، بل كل لون في الحقيقة هو صباغ الله كما قدمنا ذكره إذ لا خالق سوى الله تعالى.

ويقول قائلهم: سبحان المنفرد في سمائه، وفيه الإشارة إلى المكان فامتنع إطلاقه من قبلها، وأما

قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ[1] ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك] وما أشبهه فمؤول إلى معنى السمو والعظمة دون المكان الحسي لأنه مُحَالٌ في حق الله تعالى كما تقدم بيانه.

ومن ذلك قول بعض الخطباء: سبحان من لم يزل موجودًا سبحان من لم يزل معبودًا، فقوله: سبحان من لم يزل معبودًا محال إذ فيه القول بقدم العالم وهو كفر.

وفي هذه المسألة ذكر لي والدي رحمه الله عن شيخه أنه قال: حضرت جنازة مع شيخي رحمه الله فقال خطيب القوم عند الانفصال: سبحان مَن لم يزل موجودًا سبحان من لم يزل معبودًا. قال: فسمعت شيخي يقول: ءامنتُ بالأولى وكفرت بالثانية قال: فقلت له كيف يفهم هذا؟ قال: إن

(١) وقال الحافظ العراقي إن حديث: «الراحمون يرحمهم الرحيم ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء». يدل على أن هذه الآية تحمل على المَلَك فإن أهل السماء هم الملائكة وهم الذين يخسفون الأرض إذا أمرهم الله.

الكلمة الأولى صحيحة لأنه تعالى لم يزل موجودًا وأما الكلمة الثانية فقول باطل وهو قوله لم يزل معبودًا لأنه يقتضي عابدين في الأزل وهو قول بقدم العالم وهو محال والقول به كفر، والكفر بالكفر إيمان قال الله تعالى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴿٢٥٦﴾﴾ [سورة البقرة].

ويقول بعض الجهال: سبحان الله وما يخلق، فيشرك المخلوقين مع الخالق سبحانه في التسبيح وهو خطأ عظيم، ولو قصد المُطْلق لهذا اللفظ معناه[1] لكان كافرًا لأنه إشراك وتناقض.

ويقول قائلهم: ما لهذه الدنيا أول وهو باطل كما تقدم بيانه.

ويقول: ما يُرَى مثلُ هذه الزمردة الخضراء أبدًا يعنون السماء وهو كفر لأنه إنكار للآخرة.

(١) أي لو كان يفهم معناه.

ويقول بعضهم: ما رأيت قط من رجع من المقابر(١) وهو إنكار للإعادة في ظاهره فكان كفرًا.

ويقول قائلهم: كذا وجدناها وكذا نتركها، وهي كلمة الملحدين المنكرين للحشر جرت على ألسنة بعض العوام.

ويقول قائلهم: هذه الدنيا قديمة، وهو قول بقدم العالم وهو كفر(٢) والعياذ بالله من الجهل.

ويقول قائلهم: للأمر حيلة، وهو كلام فاسد لأنه التجاء في المضايق إلى التحيلات دون الله سبحانه، وفيه الإعراض عن التوكل والتفويض لله في جميع الأمور، فامتنع الإطلاق لأجل اقتضائه ذلك فامتنع اعتقاد ذلك أيضًا.

---

(١) وهذا كقول بعض جهلة العوام: مين راح وشاف يريدون نفي الحياة في البرزخ.

(٢) هذا لمن فهم منها أنها لا بداية لها أما إن فهم أنه مضى عليها وقت طويل فلا يكفر.

ويقول قائلهم: سبحان الطائق الأزلي، وأكثر ما يطلق هذه الكلمة اليهود ثم جرت على ألسنة بعض العوام، فالطائق لفظ ممنوع إطلاقه في حق الله تعالى بالإجماع، والأزلي يصح إطلاقه في حق الله تعالى، ويُعَوَّضُ الطائق[1] بالقادر والمقتدر والقوي وذي القوة[2].

ويقول قائلهم: ما يفعل الله إلا الصلاح، وهو اعتزال لأنه يقتضي أن ما وقع في العالم مما ليس فيه ذلك أنه ليس من فعله سبحانه، وهو مذهب المعتزلة والمجوس، ولهذا قال عليه السلام فيهم: «**القدرية مَجُوسُ هذه الأمة**» والصواب أن يقول القائل: الله خالق كل شيء فإن شاء أصلح وإن

---

(١) قال الإمام أبو الحسن الأشعري لا يسمى الله مستطيعًا ولا يسمى فاهمًا إنما يُسَمَّى قادرًا وعالمًا. قال العلماء ولا يسمى الله ناطقًا لأن الناطق الذي يتكلم بالحرف والصوت وكلام الله الذي هو صفته ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة فيسمى الله متكلمًا.

(٢) ولا يجوز تسمية الله قوة ولا عقلاً مدبرًا ولا مهندس الكون الأعظم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [سورة الذاريات].

شاء أهلك ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأنبياء] إذ لا يجب عليه رعاية الأصلح على ما تقرر في قواعد العقائد، وقد أشبعنا في تفسير ذلك وغيرِهِ من القواعد السنية في مقدمة كتابنا المسمّى بكتاب «التمييز لما أودعه الزمخشري[1] من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز».

ويقول قائلهم لشيء ينكره: خلق الله هذا؟! على وجه الإنكار أن يكون ذلك الشيء خلقه الله سبحانه، والله سبحانه هو الخالق لكل شيء.

ويقول قائلهم: هذا بشفاعة الله، وهو سُوءُ أدب مع الله تعالى.

ويقول بعضهم: ما يريد الله إلا خيرًا، وقد تقدم التنبيهُ على الرد على هذا الإطلاق، والصحيح أن الله تعالى فعال لما يريد خيرًا كان أو شرًّا نفعًا كان أو ضرًّا إذ لا خالق سواه.

---

(١) الزمخشري معتزليٌّ ضال يذم أهل السنة ولا يجوز الاعتماد عليه ولا النقل عنه لا في التفسير ولا في غير ذلك كاللغة.

ويقول قائلهم وأكثر ما يجري ذلك على ألسنة أهل البادية: تركتك مع الأزرق، ويعنون السقف الأزرق وهو السماء وهي نسبة المُجَازَاةِ والأفعال إلى السماء وهو كفر بالله تعالى، وإن وصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين فأشد كفرًا.

ويقول قائلهم إذا رأى من فُتح عليه بخير: إنما هذه مواليد، يعنون بذلك أنها مواليد بطوالع النجوم وقد أبطلنا ذلك على القائلين به في قواعد العقائد، وعلم بالبراهين القاطعة أنه لا يكون في العالم إلا ما قدره الله.

ويقولون: سَعْدُ فلان أعطاه. ويقولون لشيء يكرهونه: هذا من ضعف المكتوب يعنون بذلك ما كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القدر، وفيه التسخط بفعل الله سبحانه فوجب منعه. ويقولون: هذا من ضعف النجم وأكثر ما يجري ذلك على ألسنة النساء. ومن قولهن: وإشْ كان نجم فلانة ومن بياض نجم فلانة كيْت وكيْت ومن سواد نجم

فلانة، وليس لهن في النجوم نفع ولا ضر، ولا ما يدل على ذلك ولا لها سعادة.ولا شقاوة على ما تقررت براهينه في علم التوحيد، وإنما النجوم على ثلاثة أقسام في أوجه انتفاع الخلق بها كما قسمها الله تعالى الذي خلقها فهو العالم بها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الملك]:

القسم الأول زينة للسماء قال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الملك].

والقسم الثاني من أوجه انتفاع الخلق بها كونها أيضًا رجومًا للشياطين قال الله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴿٥﴾﴾ [سورة الملك].

والقسم الثالث ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر عند انبهام الجهات والأوقات على الخلق قال تعالى ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة النحل].

ويقول قائلهم: يعلم الله بعلامات الحق، والرب

سبحانه علمه قديم لا يتوقف على علامات يعلم بها وعلوم الخلق النظرية هي التي تحصل عند النظر في الدلائل والعلامات.

ويقول بعضهم إذا دخل عليه أحد أو قدم عليه قادم ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة طه]، وإن تكلم أحد بما لا يريد السامع قال ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة القيامة] وكل هذا ممتنع وما جرى هذا المجرى لأن القرءان العظيم موقوفٌ على موارده مُحَرَّم استعماله في المجازات لأنه تهاون بالقرءان وتعرض لتحريفه عما نزل فيه وهو محرم بإجماع الأمة.

ويقول بعضهم: لا تخرجوا الحاجَة الفلانية من الدار في ءاخر النهار، ولا تدخلوا الحاجة في هذا النهار إلى الدار أو في وسطه، وهذا تطير منهي عنه شرعًا وباطل عقلاً ببرهانْ انفراد الله سبحانه بالخلق والإبداع [والأزمان][1] لتغير الخلق

(١) كذا في الأصل.

ومستحيل أيضًا أن يتغير القدر السابق.

ويقول بعضهم: لا تطلب مني دَينك الذي علي أول النهار حتى يدخل في يدي شيء، وأكثر ما يجري هذا بين أهل الأسواق وهو أيضًا تطير منهي عنه شرعًا، بل يحق له السرور بابتدائه أول النهار بأداء حق واجب عليه أداؤه فيمتثل أمر ربه بأدائه، وفي أدائه ذلك طاعة ربه وبراءة ذمته أول النهار مما يوبقه في الدنيا والآخرة.

ومن هذا الباب قول قائلهم: مطرنا بنوء كذا وكذا أو بنوء الثريا، وفي هذا استظهار بالنجوم وفي هؤلاء قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عزَّ وجلَّ: أصبح من عبادي مؤمن وكافر فمن قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب، ومن قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب**»[1]، فنهى عليه السلام عن الالتفات إلى النجوم إلا في الأوجه

(١) رواه البخاري ومسلم.

المتقدمة الذكر التي نبه الله سبحانه عليها في كتابه العزيز من كونها [زينة ورجومًا بقوله] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [سورة الملك] إلى ءاخر ما ذكرناه.

ولقد حكى المبرّد في كتابه المسمى بالكامل أن مولانا عليًا كرم الله وجهه خرج إلى قتال الخوارج فقال له رجل: يا أمير المؤمنين لا تخرج في هذه الساعة فإنها لعدوك عليك، فقال عليّ رضي الله عنه للناس: إن هذا يزعم أنه يعلم الساعة التي هي لي على عدوي والساعة التي هي لعدوي عليّ وإني توكلتُ على الله ربي وربكم وعصيتُ أمر كل ما كتبه قال وخرج لوقته لمقاتلتهم فطحنهم طحنًا. وذكر بعضُ علماء أهل السنة أن مِلكًا من ملوك الإسلام في الصدر الأول قاتل الكفار فاصطف جيشه وجيشُ الكفار للقتال فأقام الملك لا يقاتل وجيشه كذلك مُنع من القتال فجاء بعض علماء أهل السنة ذلك الوقت فقال: ما للناس لا يقاتلون

فقيل له: المنجم قال لملك الإسلام: لا تقاتل في هذا الوقت فتقدم ذلك العالم حتى وصل إلى الملك فقال له:

دع النجوم لطرقي يعيش بها
وقم لوقتك وانهض أيها الملك
إنَّ النبي وأصحاب النبي نهوا
عن النجوم وقد أبصرتَ ما ملكوا

فقام الملك وأمر الناس بالقتال فهزموا الكفار بإذن الله تعالى وتوفيقه لهم باتباع نبيه عليه السلام. وأنشد بعضُ أهل السنة في الرد على المنجمين وإبطال دعواهم:

يقول المنجم لي لا تسر
فإنك إن سرتَ لاقيت شرا
فإن كان يعلم أني أسير
فقد جا بالنهي ظلما وَجَوْرا
وإن كان يجهل أني أسير
فجهل العواقب أولى وأحرى

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني رحمه الله للملك فنا خسرو بن بُوَيْه الذي وجهه إلى رومه لمناظرة النصارى عند توجيهه له: هل رفعتَ الطالع لخروجك؟ فقال القاضي رحمه الله: فقلت له: وما الطالع؟ فقال لي: عجبًا لك إذ تكون عالم المسلمين وتقول وما الطالع؟ كأنك لا تعلم النجوم قال: فقلت له: أعلم أن النجوم في الفضاء، فقسَّمها رحمه الله إلى الأقسام الثلاثة المتقدمة الذكر. قال: فأمر الملك عند ذلك بإحضار الصوفي المنجم صاحب كتاب «أشكال البروج» وأبي سليمان المنطقي لمناظرة القاضي في هذه المسألة، وقال: هذا أوكد عليَّ من إرسالك إلى بلد الروم، فحضرا فناظرهما القاضي فقطعهما بالدلائل اليقينية والبراهين القطعية العقلية والشرعية وخرج إلى أرض الروم فقطع جميعهم هنالك في مناظرته الشهيرة التي أودعنا ذكرها على وجه البسط والبيان كتابنا المسمى بـ «عيون المناظرة» فمن أحب الوقوف على ذلك فعليه بذلك الكتاب.

ويُسْأَل بعض العوام على حاله فيقول:

أقــول بـــخـــيـــر ولـــكـــنَّـــبـهْ
كـــلام يـــدور عـــلـــى الألـــســـنـــهْ

ويرى أنه بهذا الكلام من الأدباء ولم يعلم أنه قد أساء الأدب مع الله تعالى وجهل أن لله عليه من النعم ما لا يحصى قال الله تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة إبراهيم] ولم يعلم أن الله سبحانه قد دفع من البلايا عنه ما لا نهاية له مما في مقدوراته تعالى لأن مقدوراته لا نهاية لها.

ويقول قائلهم إذا سئل عن حاله أيضًا: في عافية يقول اللسان، فكأنه ليس في عافية على الحقيقة وهو تسخط بقضاء الله تعالى فوجب منعه.

ويقول قائلهم إذا كلمه أحد وهو في حَرَج: لا تزد على مَن زاد الله عليه، وهو تسخط بقضاء الله وسوء أدب معه فوجب منعه.

ويقول قائلهم إذا لم يستحسن شيئًا: ما لله بهذا

حاجة، فَيَؤُول كلامه إلى أنْ ذلك الشيء لو كان حسنًا لكان لله فيه حاجة وهو خطأ لأن الله سبحانه لا يحتاج إلى شيء مطلقًا ويحتاج إليه كل شيء، وكل إطلاق من قِبَل المكلفين يوهم الباطل فهو باطل كما تقدم بيانه وهذا اللفظ من ذلك القبيل فوجب منعه.

ويقول بعضهم إذا رأى طفلاً صغيرًا متألّمًا: هذا الطفل أصابه هذا الألم بذنوب والديه، وهي كلمة اعتزالية جرت على ألسنة العوام ومذهب أهل السنة رضي الله عنهم جواز إيلام البريء وذلك مما يجوز من أحكامه تعالى في خلقه فكيف يعاقب الطفل بذنوب والديه وهو غير مكلف فقد قال الله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة الأنعام].

ويقول قائلهم: الله يحول عن فلان ألمَه، والصواب: يدفع عن فلان ألَمَه.

ويقول بعضهم: هذا الألم تحذفه الطبيعة ويزول، ولا طبع ولا طبيعة على التحقيق ولا فاعل على الحقيقة إلا الله على ما تقررت براهينه

في علم أصول الدين الذي هو أصل كل العلوم[١].

ويقول قائلهم: الجهل طبع خامس، ومتى صح ثبوت طبع أو طبيعة حتى يصح ثبوت عدد ذلك.

ويقول قائلهم: «وتأبى الطباع على الناقل» وهذا نسبة [التأثير الحقيقي] إلى الطبيعة، ولا [تأثيرَ حقيقي] إلا لله سبحانه.

ويقول قائلهم: طبع الهواء وطبع الماء والبلد، وهو من قبيل ما تقدم ذكره، ولا حكم لا للهواء ولا للماء ولا للأماكن كلها وإنما الحكم في جميع المخلوقين لخالقهم سبحانه وتعالى على ما تقررت براهينه في علم التوحيد.

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنفال]. والمعنى وما رميتَ يا محمد خلقًا إذ رميتَ كَسْبًا ولكن الله رمى خلقًا. فالآية اجتمع فيها النفيُ والإثبات فلا يستقيم المعنى إلا بالتأويل الذي ذكرناه. وهذا دليل على أنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله.

ويقول المتطببون: حياة بالحيلة وموت بالطبع وهو خطأ وإنما الحياة بخلق الله سبحانه لها في المحل والموت بخلق الله سبحانه له في المحل بدلا من الحياة على ما قامت به البراهين القطعية.

ويقول قائلهم إذا خُلقت راحة مريض عند بعض الأدوية بسرعة: هذا الدواء دواء عيسى ابن مريم عليه السلام، وإن قيل له: أبطأت الراحة على هذا العليل قال: لو كان هذا الدواء دواء عيسى ابن مريم، وهذا كلام موهم كون معجزات عيسى عليه السلام عنده عقاقير وأدوية وليس الأمر كذلك بل المعجزات خوارق للعادة بقدرة الله تعالى من غير أسباب ولا معالجات، فامتنع ذلك الإطلاق والوهم.

ويقول قائلهم: فلان مات مقتولا وفلان مات بأجله، وفيه إيهام أن المقتول مات لا بأجله وهو اعتزال وقد قامت البراهين اليقينية على أن كل من مات إنما مات بأجله[1] لكن من تلك الآجال ما

(١) قال الإمام النسفيّ في عقيدته التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة: «والمقتول ميت بأجله».

يظهره الله سبحانه عند سبب ومنها ما يظهره الله تعالى لا عند سبب، وبرهان ذلك ما علم من وجوب تعلق علم الله سبحانه بكل معلوم كان أو هو كائن أو سيكون على ما عليه يكون، وما لا يكون لاستحالة أن يكون، وما لا يكون مع جوازه أن لو كان كيف يكون، قال الله تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأنعام] ويعلم تعالى ما يكون أن لو يكون على أي وجه يكون.

ويقول قائلهم: أنا بالله وبك، وتعالى الله عن الشريك.

ويقول قائلهم: قيل للجمل: لم تفعل كيت وكيت مُعْوجًا؟ فقال: وأي شيء رأيتم فيَّ مقوَّما حتى أفعل مقوَّما وغفلوا عن قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الغاشية] وكم فيها من لطائف حكم الله تعالى إذا تفكر فيها ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة العنكبوت] من رفعها الأثقال وصبرها على الشدائد وقلة أكلها

مع عظم أجرامها وقيامها بأحمالها وخفة مؤونتها وسكونها وقناعتها إلى غير ذلك، ألا ترى أن هذا الذي تذكر العوام أنه من الإبل معوج فهو أقوم من فعل جميع الحيوان البهيمي لذلك لأن الإبل تريق ماءها خلفها فتبعده عن موقفها، وغيرها من البهائم تريق ماءها بين قدميها غير خارج من موقفها فالإبل في ذلك أنقى. ثم كُرّمَ ابن ءادم في ذلك على الكل بتحفظه في ذلك وطلبه الستر في ذلك وغير ذلك مما تضمنه قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾﴾ الآية [سورة الإسراء].

ويقول قائلهم: الجاهل هو الكافر، وهذا جهل من قائله لأن الجهل أعم من الكفر، فكل كافر جاهل وليس كل جاهل كافرًا إذ قد يكون الجاهل مؤمنًا وإن جهل بعض مسائل العلوم، فإطلاق اللفظ العام في موضع الخاص غلط وهو كمن يقول: الحي هو العالم، وليس كذلك إذ ليس كل حي عالمًا إذ قد يكون الحي حيًا وليس بعالم ولا يكون العالم عالمًا إلا وهو حي.

ويقول قائلهم وأكثر ما يجري ذلك على ألسنة أهل القصص إن موسى عليه السلام قال في مناجاته: يا رب هل تنام[١] فأمره الله أن يأخذ زجاجتين في يديه ثم أرسل عليه النوم فسقطتا من يديه فتكسرت الزجاجتان، والمعنى أنه تعالى لوجوب قدمه تعالى ووجوب قدم علمه وبقائه استحال ضده والنوم ضد العِلم ولاستحالة الآفات ودليلِ الحدوث عليه سبحانه أيضًا، لكن هذا الكلام ممتنع من جهة أخرى وهي وجوب عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه من الجهل بالله سبحانه وبما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز من أحكامه في خلقه فلا يجوز هذا السؤال على موسى عليه السلام لأن الرسل عليهم السلام هم المعلمون للخلق بما يجب لله سبحانه وما يستحيل عليه وما يجوز من أحكامه في خلقه بأصح الطرق

---

(١) قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴿٢٥٥﴾﴾ [سورة البقرة]. فالله لا يجوز عليه النعاس ولا النوم ولا الانفعال ولا أي صفة من الصفات الحادثة المخلوقة لأن حدوث الصفة دليل على حدوث الذات ومن كان حادثًا لا يجوز أن يكون إلهًا.

وأجلها، والإجماع منعقد على عصمتهم من الجهل بالله سبحانه وهو قطعي ونقل الإسرائيليات غير قطعي فوجب التعويل على القطعي وترك ما يعارضه مما ليس بقطعي.

ويقول قائلهم: ما رضي أحد عن الله، وهو خطأ لأن الأنبياء عليهم السلام والملائكة وأهل المعرفة بالله سبحانه راضون عن الله سبحانه قال الله تعالى ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ١١٩﴾[سورة المائدة].

ومن ذلك أيضًا قول بعضهم: عُلق سيف المحبة تحت ساق العرش إلى قولهم فمد يدَه إليه الخليلُ فقيل له: إليك عن سيف حبيبي يا من قال في القمر: هذا ربي[1]، وينسب هذا الكلام إلى أبي الفرج بن الجوزي رحمه الله وبعيدٌ أن تثبت نسبته إليه لأن القول في القمر هذا ربي على ظاهره كفر والأنبياء والرسل عليهم السلام

(١) قول إبراهيم هذا ربي هذا على معنى الاستفهام الإنكاري وليس على معنى الإثبات فكأنه قال أهذا ربي كما تزعمون فلما أفل أي غاب قال لا أحب الآفلين أي ما يظهر ويغيب لا يصلح أن يكون إلهًا.

معصومون منه قطعًا عقلًا وسمعًا لأن دلالة المعجزة منعقدة أيضًا على عصمتهم من ذلك قبل بعثتهم كما عصموا منه بعد ذلك، فلم يقل الخليل عليهم وعليه السلام ذلك إلا على سبيل إقامة الحجة على قومه لقوله عليه السلام أيضًا ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الأنبياء] أي على زعمكم أنها تفعل فإذا أنكروا إضافة الأفعال إلى الأصنام بطل ادعاؤهم الألوهية لها ووجبت وحدانية الله تعالى أي وكذلك هذا ربي أي على زعمكم، ثم أقام البرهان على بطلان ذلك بأفول النيّرَيْن وتغيرهما الدال على الحدوث والافتقار إلى المخصِّص وهو الله سبحانه الخالق المنزَّه عن مشابهة المخلوقين، وقرئ «هذا ربي» على وجه الاستفهام والعرب تستفهم بهمزة الاستفهام تارة وبغير همزة تارة أخرى وهو أبلغ في المعنى على ما ذكره القاضي أبو بكر في كتاب «الهداية».

وكيف يقول الخليل عليه السلام ذلك على ظاهره

وقد شهد الله سبحانه بعصمته من ذلك فقال تعالى في حقه ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الأنبياء]، وكل ما ذكر من هذا الكلام المتقدم في حق من ذكره قبل ذكر الخليل عليه السلام أو بعده فمؤول أيضًا لا يصح شيء منه على ظاهره لما عُلم من انعقاد الإجماع على عصمتهم من الكبائر.

ويقول قائلهم أيضًا: إن كان قيل في حقي أو في حق غيري كذا وكذا فقد قيل في الأنبياء عليهم السلام كيت وكيت، وهذا كله محرّم إطلاقه واعتقاده لأن ما انتُقِصَ به مُطْلِقُ اللَّفْظِ يُضيفه إلى الأنبياء عليهم السلام ليجمعهم مع نفسه في ذلك لتزول عنه المعرة بذلك الجمع ففيه إضافة النقص إلى الأنبياء عليهم السلام فيحرم ذلك ويؤدب قائله وإن عظمت جُرأته زيد في أدبه.

وكذلك من يسب غيره بالألف وهو القائل يا ابن ألف كذا لأنه يصل بسببه إلى الأنبياء عليهم السلام.

ويقول قائلهم إذا رأى أحدًا زاهدًا في شيء: هذا أزهدُ في هذا الشيء من إخوة يوسف عليه السلام وهذا وما أشبهه محرم إطلاقه يؤدب قائله.

ولا يجوز أيضًا إطلاق لفظ الكثرة في حق الله سبحانه كقول القائل: هم فعلوا كذا وهم صنعوا كذا. فإذا قيل له: من هم؟ قال: الله، تعالى عن الكثرة فامتنع ذلك لأنه يوهم الكثرة في حقه سبحانه وتعالى وذلك مناقض لما وجب في حقه من الوحدانية، وقد أمعن أبو القاسم السُّهَيلي رحمه الله في بيان منع هذا الإطلاق في كتابه المسمى بـ «الروض الأنف» في شرح السيرة.

ويقول بعضهم: فلان يعلم الغيب وفلان هو أنباءُ الزمان وفلان أخذ تلامذته وأصحابه من اللوح المحفوظ وفلان يعلم السعيد من الشقي، ويقول: هذا من أهل الجنة وهذا من أهل النار، وهذه إطلاقات كلها غير جائزة في الشريعة ولا صحيحة في معناها ومقتضياتها وإنما ذلك للأنبياء عليهم

السلام، وقد ختمت النبوة فانسدت أبواب الغيوب على الخلق قال الله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴿٢٧﴾﴾[1] [سورة الجن] وقد بينا هذا بيانًا شافيًا في كتابنا المسمى بالمعتمد في المعتقد.

ويقول بعض العوام إذا رأى بعض من فُتح عليهم بشيء: أين كنا من هذه القسمة، وهو اعتراض على الله تعالى في صنعه وقسمته التي قسم لخلقه وملكه، فحرام إطلاق ذلك واعتقاده.

ويقول قائلهم في ضرب الأمثال مستحسنًا لهذا القول: قيل لبعضهم كيف عشت؟ قال: كيف وجدت لا كيف أردت، وهذا خطأ من جهة ما فيه من عدم الرضا بقضاء الله تعالى.

---

(١) إلا في هذه الآية بمعنى لكن فالمعنى لكن من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا. وإلا فلا يعلم الغيب كله إلا الله قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النمل].

ويقول قائلهم: يُعطي الفول لمن ليس له أسنان[١]، وفيه اعتراض على الله تعالى في أحكامه وأن هذا الحكم جرى على خلاف الحكمة فكان هذا الإطلاق على هذا الوجه كفرًا.

ويقول متعمقهم في الجهل: اللهم لا تحوجنا إلى شفاعة محمد ﷺ، وهذا جهل عظيم وتزكية للنفس منهي عنها شرعًا ولا يعلم القائل أن الأمم أجمعين محتاجون في عَرَصَات القيامة إلى شفاعة نبينا محمد ﷺ وهو المقام المحمود الذي خصه الله سبحانه به فهو الذي يشفع إذ ذاك دون من سواه من جميع النبيين والمرسلين على ما ورد في الصحيح، وله عليه السلام شفاعات على ما تقرر في قواعد العقائد.

ويقول قائلهم: هذه يدك في يد الله، إذا عاهد أحدًا وهو خطأ وإنما يده في يد ذلك الشخص

(١) ويقول بعض العوام اليوم: «يُعطي الحلق لمن ليس له «اذان» يريدون الاعتراض على الله ومن اعترض على الله كفر.

والرب تعالى منزَّه عن الجسمية فوجب تنزيهه عن الجارحة[١].

ويقول بعضهم: هذه يدك في يد محمد ﷺ ابن عبد الله، وهو سوء أدب مع النبي ﷺ في التمثيل به وفيه الكذب فامتنع.

ويقول قائلهم إذا باع من أحد شيئًا وأراد إقالته: باعك الله وأقالك الله، وهو وهم فامتنع. والصواب أن يقول: بعتك وأقلتك.

وليُحترز من مواضع في كتاب «الإحياء» لأبي حامد الغزالي[٢]، ومن مواضع في كتاب «النفخ والتسوية» له أيضًا، ومن مواضع في تآليفه أيضًا

---

(١) أما قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۝١٠﴾ [سورة الفتح] فمعناه عهد الله ثبت عليهم لأنهم بايعوا الرسول بأمر الله فكانت مبايعتهم للرسول طاعةً لله تعالى، ولا تجوز الجارحةُ على الله.

(٢) هذا الكتاب فيه كلام ضلال منه قوله: وفي الحديث: «من قال أنا عالم فهو جاهل، ومن قال أنا مؤمن فهو كافر». وهذا الكلام كفر لأن الرسول قال: «**أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية**» رواه البخاري. وفي صحيح البخاري أن وفدًا جاء إلى الرسول فقال الرسول «**مَن القوم**» قالوا: نحن المؤمنون. فلم يعترض عليهم الرسول.

دست في تآليفه أو رجع عنها كما ذكره في كتابه المسمَّى بـ «المنقذ من الضلال».

وليحترز أيضًا من مواضع في كتاب «قوت القلوب» لمكي، ومن مواضع نقلت في كتاب «الهداية» لمكي في التفسير تقتضي التشبيه ولم ينبه على تأويلها فلا يعول على ظاهرها مع أنها لم تكن منقولة بطرق قطعية.

وليحترز من مواضع كثيرة من كلام ابن مسرة الجبلي وقد صنف الفقيه أبو محمد ابن أبي زيد رحمه الله كتابًا في الرد عليه منطويًا على التقاسيم العقلية والقوانين البرهانية دل ذلك على تبحره في علم أصول الدين، ولهذا شهد له القاضي أبو بكر بن الطيب رحمه الله في كتابه المصنف في كرامات الأولياء.

وليحترز أيضًا من مواضع في كتاب منذر بن سعيد البلوطي، فإنه دخل المشرق في زمان هيجان فتنة المعتزلة فرجع إلى الأندلس، وقد

اعتل كلامه بالاعتزال وخالطه فاسد ءارائهم فلذلك نبهنا على التحرز من كلامه في المعتقد.

وليحترز من مواضع في خطبه وأنه تبع فيها المعتزلة، ومن مواضع من كلام ابن برجان.

وأما تفسير الزمخشري فأكثره اعتزال وفيه مواضع انتهى فيها إلى الكفر والعياذ بالله، وقد صنفنا في الرد عليه كتابًا سميناه بـ «التمييز بما أودعه الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز» كان قد ابتدأه والدي رحمه الله ثم مَنَّ الله في تكميله على يدي، والحمد لله على ذلك.

وليحترز أيضًا من كتاب «رسائل إخوان الصفا» فإن مؤلفيها من رءوس الملحدين والمدلسين للدين والمجانبين لطريق الإسلام والمسلمين، ومن كتب الفلاسفة الملحدين، ومن كلام الجاحظ، وإبراهيم بن سيار النظام، وابن الراوندي، والناشئ، ومعمر بن المثنى، وتركنا ذكر قوم يقل وقوع كلامهم بين أيدي الناس.

وليحترز أيضًا من كتاب «خلع النعلين» لابن قَسِيّ لمواضع فيه يجب التحرز منها.

وليحترز من كلام ابن حزم إذا تكلم فيما يتعلق بأصول الدين وقواعد العقائد ومما يتعلق بالمعاني والحقائق لأن هذا الرجل لم يكن من أهل هذا العلم فلما تكلم فيما ليس يعلمه لم يُحسن.

وليحترز من كلام ابن رشد الحفيد لأن كلامه في المعتقد فاسد، وجدُّه من علماء أهل السنة وهو صاحب «البيان والتحصيل» و«المقدمات»، تكلم في صدر المقدمات كلامًا حسنًا دل على إمامته وفضله.

وليحترز من كلام ابن عربي الطائي ومن مواضع كثيرة في قصائده وقصائد ابن الفارض الشاعر التي أشبعنا في بيانها وتقريرها في كتاب أصول الدين وإن كان الأمر في ذلك أبين من أن يحتاج إلى بيان لأن الموجِد القديم من المعلوم ضرورة وبديهة استحالة أن يكون هو عين الحادث المتغير

فوجب افتراق القديم من الحادث والعزيز من الذليل والغني الكبير من الفقير الحقير، وكل كلام وإطلاق من قِبل المؤلفين يوهم الباطل فهو باطل بالإجماع على ما تقدم التنبيه عليه فأحرى وأَولى بطلانه إذا كان صريحًا في ذلك. فإن قال من قدمناه: لم نقصد بكلامنا الاتحاد وإنما قصدنا أمرًا ءاخر، قلنا لهم: الله أعلم بالمقاصد وإنما اعترضنا نحن على الألفاظ التي تظهر منها الإشارة إلى الاتحاد ووجهٍ من وجوه الإلحاد.

وليحترز أيضًا من كلام ابن أعلى الرومي، ومن كلام ابن سينا أنصف الله منه الإسلام والمسلمين على ما أحدثه في الدين، ومن كلام الملحدين الظالمين القائلين بالاتحاد أو بالحلول أو بالتشبيه أو بالتجسيم، تعالى الله عن أقوالهم رب العالمين.

وليعول على الاقتداء بخاتم النبيين وسيد المرسلين وخيرة المخلوقين عن المصطفى ﷺ، وبما أُنزل عليه من الكتاب الحكيم وما وردت به

سنته ودينه القويم وصراطه المستقيم كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام] ثم الاقتداء بأئمة المؤمنين من الصحابة والتابعين لهم من أهل السنة من أئمة المتكلمين الدالين على الدين والداعين إلى المنهج الحق المبين والحبل المتين كالشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله صاحب كتاب المتحري في تفسير القرءان الكريم في أربعمائة سفر وقد بلغت تآليفه ثلثمائة وثمانين تأليفًا وأزيد على ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر محدث الشام رحمه الله ونضَّر وجهه، ولقد أطنب في مدح الشيخ أبي الحسن رحمه الله ومدح أئمة مذهبه مذهب أهل السنة والجماعة بما يليق بدينه وأمانته، وكل ذلك مشبع الكلام عليه في الكتاب الكبير المعروف بتاريخ بغداد للشيخ أبي الحسن رحمهم الله جميعًا، وكالقاضي أبي بكر ابن الطيب صاحب «الهداية»، و«الدقائق»، وكالأستاذ أبي إسحاق الأَسفرايني رحمه الله

صاحب الجامعين، وكالأستاذ أبي بكر بن فورك رحمه الله صاحب المشكلين، وكالإمام أبي المعالي رحمه الله صاحب «الإرشاد» و«الشامل» ومن سلك طريقهم ونهج منهجهم، فهم الذين أقامهم الله أعلامًا لنصرة دينه والقرب عن سنة رسوله ﷺ في قوله **«وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»** قالوا: من الواحدة يا رسول الله؟ قال **«من كان على ما أنا عليه وأصحابي**[(١)]».

وما كان من كلام من قدمنا التحرز من كلامهم موافقًا للحق عُوّل عليه لا لأنه قاله بل لموافقته

(١) وفي رواية لهذا الحديث وهي الجماعة. وفي رواية ابن حبان وهي السواد الأعظم. فعلم من ذلك أن المسلمين أهل الحق هم الجمهور الغالب فالمسلمون اليوم أكثر من مليار أما المشبهة الوهابية فهم نحو مليونين فعلم أن أهل الحق هم الأشاعرة والماتريدية الذين كان منهم السلطان محمد الفاتح والسلطان صلاح الدين الأيوبي أما الوهابية المليونان فليسوا هم السواد الأعظم بل هم جاءوا بدين جديد بدأ به محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٠٦ هجرية والذي تبع أحمد ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية وزاد عليه أشياء من عند نفسه.

للحق وما خالف الحق من ذلك فلا يلتفت إليه ولا يعول عليه، وليس المخالف للحق في الاعتقادات والإطلاقات مما ينضبط بحصر ولكن ذكرنا من الإطلاقاتِ الممنوعاتِ أمثلةً يعتبر بها ما لا يجوز إطلاقه مما يخالف الحق وبمعرفة الحق يعرف الرد على ما يخالفه.

والله سبحانه ينفع بالقصد في ذلك إنه ولي كريم، ونسأله تعالى أن يجعلنا من الناصرين لدينه والناصحين لأمة رسوله والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على خاتم النبيين والمرسلين وإمام المتقين محمد أفضل العالمين وعلى ءاله الطاهرين وصحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

انتهت رسالة أبي علي السكوني المسماة
كتاب لحن العامة والخاصة في المعتقدات

الفهرس العام

المختارُ من كتابِ
لحن العامة والخاصة
في المعتقدات

هذا كتاب جمعه الشيخ المقرئ الفقيه عمر بن محمّد السّكوني المالكي الإشبيلي نزيل تونس لما انتشر بين العوام في عصره استعمال عبارات وألفاظ تخالف الكتاب والسنّة ولا تليق بحق الله تعالى وتمتنع في حق أنبيائه ورسله الكرام وفي حق دينه، وقد أوردها رحمه الله تعالى وحذّر منها وبيّن فسادها بالأدلة النقلية والعقلية.

كما أنه حذّر رحمه الله من بعض الكتب المؤلفة، ومن بعض المؤلفين، وهذا كله عملاً بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه الشيخان عن تميم الداري أنّ النّبيّ ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم»، فجزى الله المؤلف خيرًا.





النويري - بيروت - لبنان تلفون: ٠١/٦٤٦٧٠٩